مدخل تطبيقي إلى نظرية رفّة الفراشة في الأدب العربي *

د. غسان إسماعيل عبد الخالق إسماعيل**

*تاريخ التسليم: 2016/10/26م، تاريخ القبول: 2017/3/20م.
**أستاذ مشارك/ جامعة فيلادلفيا/ الأردن.

ملخص:

لا زالت (نظرية الفوضى = Chaos Theory) قارة غامضة في الثقافة العربية المعاصرة، سواء أكان على صعيد الفكر أم على صعيد الأدب. وعلى الرغم من أنها استأثرت باعتناء العلماء المفكرين والنقاد الغربيين، ونشروا عنها وفيها كثيرًا من الكتب والدراسات والمقالات، إلا أن ما ترجم عنها إلى اللغة العربية لا يكاد يتجاوز أصابع اليدين عدًّا، وأقل من ذلك ما نشر عنها باللغة العربية من كتب. وفي هذا البحث محاولة لتأصيل الأساس العلمي والفلسفي للنظرية وتكثيفه، فضلاً عن القيام بأربع مقاربات نقدية تطبيقية لنماذج أدبية عربية مقترحة، قد تفتح الباب أمام المزيد من المقاربات في النقد العربي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: نظرية رفّة الفراشة، الأدب العربي.

An Introduction to the Butterfly Effect in Arabic Literature

Abstract:

Chaos theory remains an uncharted notion in contemporary Arabic culture both in terms of its effect on thought or on literature. Even though interest in the theory has taken the forefront of research and publication in recent years among Western academics and critics, Arabic publications on the subject remain scarce.

This research attempts to find the origins and enrich the scientific and philosophical basis on which the theory is based. In addition, it aims at presenting four proposed applied criticisms on Arabic models, which, in turn, might lead to further research on the subject in the future.

***Key words**: the Butterfly Effect, Arabic Literature*

رفّة فراشة

في ظل الركود العظيم الذي يشهده النقد الأدبي العربي المعاصر، فإن الحاجة إلى رفّة فراشة يمكن أن تخلخل هذا الركود وتدفع بالباحثين والنقاد إلى أفق جديد، تبدو ماسة جدًا. فبعد أن هيمنت المناهج الحداثية: التاريخية والاجتماعية والأيديولوجية على هذا النقد أربعة عقود تقريبًا (1940 – 1980)، ثم زاحمتها مناهج ما بعد الحداثة: البنيوية والتفكيكية والشكلانية (1980 – 2015)، دون أن تتمخض هذه المزاحمة عن نتائج أو تأويلات مثمرة، فقد آن الأوان لإشراع نافذة جديدة تطل على حقول الفيزياء والرياضيات والتكنولوجيا الحاسوبية. ومن يدري ... فلعل هذه النافذة التي ما زالت تستأثر بجفاء المبدعين والنقاد العرب، تكون هي النافذة التي تهب منها رياح الإبداع النقدي.

إضاءة

لو أردنا أن نلخص المعرفة البشرية منذ منتصف القرن السابع عشر حتى الآن، لقلنا إنها يمكن أن تتمثل في أربعة أشخاص:

♦ إسحق نيوتن (1643 – 1727) الفيزيائي الإنجليزي الذي غيّر وجه المعرفة البشرية من خلال قوانين الفيزياء التقليدية في عام 1687، وأكّد الواقع الموضوعي للعالم وقابليته للمعرفة[1].

♦ إلبرت أينشتين (1879 – 1955) الفيزيائي الألماني – الأمريكي الذي غيّر وجه المعرفة البشرية من خلال النظرية النسبية الخاصة في عام 1905، ثم النظرية النسبيّة العامّة في عام 1916، والذي أكّد الواقع الموضوعي للعالم، وقابليته للمعرفة، فضلاً عن اعتقاده بأن السببيّة هي المفسر الوحيد لكل مظاهر الطبيعة[2].

♦ ماكس بلانك (1858 – 1947) الفيزيائي الألماني الذي أحدث في عام 1900 طفرة عملاقة في تاريخ فهم الإنسان للطبيعة، حينما توصّل إلى أن الطاقة لها (كمّات) لا توجد طاقة أصغر منها، فأسس بذلك نظرية (الكَمْ) التي تكفّلت بتفسير كثير من الظواهر الطبيعية التي لم تفلح الميكانيكا التقليدية في تفسيرها، من حيث المراهنة على حقيقة التقطع في عمليات الطاقة. فضلاً عن اعتقاده أيضًا بمبدأ السببية[3].

♦ إدوارد لورينز (1917 – 2008) عالم الأرصاد الجوية الأمريكي الذي أقدم –بعد أن أدخل خلال الستينيات سلسلة من المعطيات المناخية إلى الحاسوب وتفاجأ بمخرجاتها– على نشر مقال في عام 1972 بعنوان: (هل يمكن لرفّة جناحي فراشة في البرازيل أن تتسبب في إحداث إعصار في تكساس؟)، فأشرع بهذا المقال كثيرًا من الأبواب أمام العلماء والمفكرين والنقّاد، في الفيزياء والرياضيات والأحياء والاقتصاد والسياسة والفلسفة وعلم النفس والأدب، كي يعيدوا النظر في عدد من المسلّمات التي بدت حقائق وبدهيّات لثلاثة عقود تقريبًا[4].

ملاحظات ضرورية في ضوء (نظرية الفوضى):

بعيدًا عن كثير من تفاصيل التفاعلات المعقّدة التي أعقبت ذلك الإعصار المعرفي الذي تصاعد تحت عنوان (نظرية الفوضى = Chaos Theory)[5]، في عالم العلوم النظرية والتطبيقية، **فإنه يمكن إدراج بعض الملاحظات الضرورية بخصوصها، على النحو التالي:**

♦ أدّت قوانين الفيزياء التقليدية، قوانين نيوتن، إلى ترسيخ صورة ثابتة ومستقرة للعالم في أذهان الناس؛ فكل ما يحدث في هذا العالم يمثل نسقًا مطّردًا له بداية معروفة ونهاية يمكن التنبؤ بها. وعليه فما على الإنسان إلاّ أن يسلّم بأنه وهذا العالم مسيّران بعناية إلهية. وقد رافق هذه النظريات –بوجه عام– تصاعد ملحوظ لما يمكن تسميته بفكر الحداثة وآدابها وفنونها، من حيث التركيز على العقلانية، والاتّساق والميل إلى الوثوقية، والتسليم بالمصير المقدّر سلفًا[6].

♦ أدت فيزياء الكَمْ من جهة، ونظريتا النسبية الخاصة والعامة من جهة أخرى، مضافًا إليها ما لحق بالعالم من كوارث وأهوال وخسارات بسبب الحربين العالميتين الأولى والثانية، إلى رفع الحصانة عن قوانين الفيزياء التقليدية، واجتاحت العالم الغربي

تحديدًا، موجة عارمة من اللاتيقّن تحت مسمى (ما بعد الحداثة)، وقد مثّلت الوجودية الملحدة، والبنيوية، والتفكيكية في الفلسفة والأدب واجهة متقدمة لهذه الموجة المتمرّدة[7].

♦ أدّت التطبيقات غير المحدودة لنظرية الفوضى، بدءًا من مستهل السبعينيات، وحتى الآن، إلى استعادة غير قليل من الطمأنينة واليقين، في ضوء التأكّد علميًا ورياضيًا من حقيقة أن كثيرًا مما كان يبدو لنا أشكالاً من الفوضى العمياء، يشتمل –في الواقع– على نظم وأنساق وتركيبات باهرة ودقيقة وبديعة، من شأنها أن تعزّز حقيقة وجود مبدع ومدبّر عظيم لهذا الكون[8].

♦ إن حقيقة وجود عدد من الظواهر غير المنتظمة أو الفوضوية ظاهرًا، لا ينفي حقيقة وجود غيرها من الظواهر المنتظمة والمستقرة؛ فالحقيقة الأولى تؤكد أن الكون، ومن ثم الإنسان، مخيّر وليس مسيّرًا، بفعل إزاحة ما يمكن أن تبدر منه أو يقدم عليها، وهو ما يمكن تسميته ب(الإرادة)، وأما الحقيقة الثانية فتؤكّد أن الكون ومن ثم الإنسان مسيّر في جانب من قدره[9].

♦ إنّ الرفّة الأولى لجناح الفراشة، أو التداعي الأول للبحث أو الشعور أو التفكير أو السلوك، إن هو حدث، قد يتحكّم بالتوالي، في مستقبل هذا التداعي[10].

♦ إنّ كلَّ تداعٍ، إنْ هو حدث، فله نظامه الخاص به الذي يجعله مختلفًا عن سواه من التداعيات، حتى لو كانت مشابهة له، زمانًا أو مكانًا أو شكلاً أو مضمونًا[11].

♦ لأن معرفتنا بأية ظاهرة (فوضوية) تقتضي وقوفنا على رفّتها الأولى، ونظرًا لأن كل رفة تتخذ وجهتها الخاصة بها، فهذا يعني أن ما لا يحصى من الظواهر (الفوضوية) قد تشكلت، ولم نعرف بها، لكن عدم معرفتنا بها لا يلغي حقيقة وجودها[12].

بين نظريّة الفوضى ونظريّة الدّومينو

ربّ سائل يسأل بعد هذا كلّه قائلاً: وما الجديد في نظرية للفوضى؟ إذا نظرنا بعين الاعتبار الشديد لنظرية الدومينو (Domi-no Theory) الشهيرة[13]، التي أطلقها الرئيس الأمريكي إدوايت إيزنهاور في عام 1954، وقصد بها: (إذا وجدت دولة شيوعية مثل الصين، فإن كل الدول المحيطة بها سوف تحذو حذوها بالعدوى)؟ والحق أن نظرية الدومينو تمثل تجسيدًا سياسيًا جزئيًا وميكانيكيًا، لإحدى تجليات نظرية الفوضى، لكنها لا ترتقي إلى درجة الاعتقاد بأنها يمكن أن تكون مناظرة لها، فضلاً عن أنها تمثل تعبيرًا عن النتيجة وليس السبب، لأن علينا أن نعود –في الواقع– لتوجيه هذا السؤال: متى وأين ولماذا وكيف رفّت الفراشة بجناحيها في الصين، حتى أصبحت دولة شيوعية؟!!

بين نظرية الفوضى ونظرية التداعي

قريبًا من هذا التساؤل، يمكن أن يقع تساؤل آخر مؤداه: ما الجديد في نظرية الفوضى إذا نظرنا بعين الاعتبار الشديد نظرية التداعي الحر (Free Association) التي نادى بها عالم النفس الشهير سيجموند فرويد (1856 – 1939)؟ ومؤدّاها[14]: تشجيع المريض النفسي على الإفصاح عن كل ما يدور في خلده من أمور غير سارة ، أو ليست ذات قيمة، بغية الكشف عن الموضوعات والذكريات والتجارب التي يكبتها المريض في منطقة اللاشعور، ودفعها إلى حيّز الشعور لتوظيفها على صعيد إدراك العلاقة الممكنة بينها وبين ما يعانيه المريض من مشكلات واضطرابات؟!

والحق أيضًا، أن هذه النظرية، إذ هي تؤكّد نظرية الفوضى ولا تنفيها من جهة، فإنها تمثل استلهامًا أسلوبيًا محدودًا لكيفية عمل نظرية الفوضى في الكون، لأن فرويد وبحسه التحليلي العالي، أدرك أن ما قد يبدو لنا شكلاً من أشكال الفوضى اللاشعورية، يمكن أن ينطوي على نمط من العلاقات المنطقية التي من شأنها أن تساعد المحلّل النفسي على تشخيص ما يعانيه المريض النفسي. ومن البدهي القول إن هذا التشخيص لا يمكن أن يستوي تمامًا إلا إذا تمكّن هذا المحلّل من تحديد: متى وأين ولماذا وكيف حدثت تلك الرفّة اللاشعورية، واستدعت كل ما تلاها من مشاعر معقدة أو دفينة؟!

بين نظرية الفوضى ونظرية العصف الذهني

ولأن الشيء بالشيء يذكر ، فلن نعدم أيضًا من يتساءل عن الجديد الذي جاءت به نظرية الفوضى بعد أن توصل أليكس أوزبورن في عام 1953 إلى نظرية العصف الذهني (Brain Storming) التي مؤدّاها[15]: استمطار مجموعة من الأفكار والآراء العفوية لمعالجة مشكلة معينة. ولسنا بحاجة إلى بذل جهد كبير لاكتشاف حقيقة أن أسلوب العمل المتّبع وفقًا لهذه النظرية، يعزّز أيضًا نظرية الفوضى، ولا ينفيها من جهة، كما أنه يمثل تجسيدًا إداريًا لكيفية عمل هذه النظرية في الطبيعة، وبخاصة إذا نظرنا بعين الاعتبار الشديد لحقيقة أن (الخاطر الأول) أو (القادح الأول) للأفكار، وفقًا لهذه النظرية، يعادل موضوعيًا الرفّة الأولى لجناحي الفراشة.

بين نظرية الفوضى ونظرية تيار الوعي

وحرصًا منا على استيفاء كل ما يمكن أن يخطر ببالنا من تساؤلات بخصوص هذه النظرية، فإن من الضرورة بمكان، التنويه بنظرية تيار اللاوعي في الرواية (Stream of Conscious-ness)[16]، التي تتمثل في التعرّف لوجهة نظر الشخصية الروائية وحقيقتها من خلال مناجياتها الداخلية غير المنظّمة ظاهرًا، التي قد تذهب إلى الماضي البعيد حينًا، أو الحاضر المعاش حينًا، وربما إلى المستقبل المأمول حينًا آخر. ولا ريب في أن هذا المستوى من التداعيات الشاردة، يفوق في أهميته الوظيفية، على صعيد تحليل الشخصية الروائية وفهمها، ذلك المستوى الواعي من السرد المنتظم والمعلن. ومن نافلة الحديث هنا القول إن نظرية تيار اللاوعي في الرواية، ما هي إلاّ تجسيد أدبي لنظرية الفوضى في الطبيعة.

نخلص من كل ما تقدم إلى تقرير ملاحظتين على قدر كبير من الأهمية:

♦ **أولاً:** إن نظرية الفوضى، توجد وتعبّر عن نفسها بصيغ مختلفة، في كل أو معظم حقول المعرفة والممارسة البشرية أو معظمها.

♦ **ثانيًا:** لأن نظرية الفوضى عابرة للتخصصات، فهي بالضرورة جزء، بل هي من أبرز واجهات النقد الثقافي الذي يمكن إيجاز أبرز طروحاته بما يلي[17]:

– إعلان موت الأدب بوصفه ثقافة النخبة، ومن ثم إعلان موت النقد الأدبي بوصفه المنهج الوحيد لدراسة أدب النخبة[18].

- إعادة الاعتبار للثقافة بوصفها أدب الشعب، ومن ثم الإعلاء من شأن المقاربات غير الأدبية، والعابرة للتخصصات[19].

- النصوص الجديدة المقصودة بالدراسة تشمل: الحكايات الشعبية، وبرامج المذياع والمسلسلات التلفزيونية وأفلام السينما، والملصقات والمطويات، والبيانات السياسية الرسمية وغير الرسمية، بوصفها ممارسات دالّة أي مُنتِجة[20].

- الأدب المحض، والنقد الأدبي المحض، هما أسطورتان أكاديميتان محضتان[21].

- إيلاء الدراسات النسويّة العناية اللازمة، كونها تمثل مظهراً بارزاً من مظاهر الممارسات المعرفية المنتجة[22].

- تشخيص الدور الإشكالي الذي تضطلع به تكنولوجيات الاتصال، وبخاصة على صعيد ترسيخ الثقافة السمعيّة والبصريّة على حساب الثقافة المكتوبة، وما قد يترتب على ذلك من أمّيات وشفويات جديدة[23].

رفّة جناحي الفراشة في التصوّر الإسلامي:

يقدم لنا التصوّر الإسلامي لبدء الخليقة، فرصًا استثنائية لتطبيق نظرية (رفّة جناحي الفراشة) على نحو بديع. فوفقًا لهذا التصوّر، تبدأ مأساة الصراع بين الإنسان والشيطان، برفّة واحدة من جناحي الفراشة، التي يمكن تلخيصها بـ(الكِبْر)، لكنها قادت، ولا زالت تقود إلى ما لا يعد ولا يحصى من أعمال التمييز العنصري والاضطهاد والكراهية: ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾[24]. كما أن مأساة هبوط الإنسان من سماء النعيم إلى أرض الشقاء، بدأت أيضًا برفّة واحدة من جناحي الفراشة التي يمكن تلخيصها ب(اللّذة) التي أدّى الانصياع لإغوائها إلى شقاء الجنس البشري: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ê وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ê فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾[25].

بل إن مأساه الصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان، بدأت أيضًا برفّة واحدة من جناحي الفراشة التي يمكن تلخيصها بذلك الموقف الذي أعاد قابيل من خلاله إنتاج خطيئة الشيطان، فأقدم على قتل شقيقه هابيل، غيرة وحسدًا: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ من أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾[26].

وقد أبدع نجيب محفوظ، في استحضار ذلك الموقف أدبيًا، عبر رائعته (أولاد حارتنا)؛ إذ بعد أن اختار الجبلاوي ولده الأصغر أدهم ليشرف على إدارة أوقافه، لأنه على علم بالكتابة والحساب، شعر أبناؤه كلهم بالحنق، وبخاصة ابنه الأكبر إدريس، الذي أبى واستكبر، فيما انصاع سائر الأولاد لمشيئة الأب:

(تلقى إدريس اللّطمة بصبر ينفد. إنه يعلم كم يضيق أبوه بالمعارضة، وأن عليه أن يتوقع لطمات أشد إذا تمادى فيها، ولكن الغضب لم يدع له فرصة لتدبر العواقب، فاندفع خطوات حتى كاد يلاصق أدهم، وانتفخ كالديك المذهول ليعلن للأبصار فوارق الحجم واللون والبهاء بينه وبين أخيه، وانطلق الكلام من فيه كما ينطلق نثار الريق عند العطس بغير ضابط:

- إني وأشقائي أبناء هانم من خيرة النساء. أما هذا فابن جارية سوداء...

شحب وجه أدهم الأسمر دون أن تند عنه حركة، على حين لوّح الجبلاوي بيده قائلاً بنبرات الوعيد:

- تأدّب يا إدريس...

ولكن إدريس كانت تعصف به عواصف الغضب المجنونة فهتف:

- وهو أصغرنا أيضًا، فدلّني على سبب يرجحني به إلا أن يكون زماننا زمان الخدم والعبيد.

- اقطع لسانك رحمة بنفسك يا جاهل...

- إن قطع رأسي أحب إليّ من الهوان....)[27]!!!

وفيما يمكن أن نعده منطقة مشتركة بين الدين والأدب، نطالع في القرآن الكريم: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾[28]! وهي الآية التي تم الإجماع على أنّها أوّل ما أوحي به للنبي محمد –صلى الله عليه وسلم– بوصفها رفّة جناحي الفراشة الأولى التي قادت إلى الانتقال بالعرب من حيز المعرفة الشفوية إلى حيّز المعرفة المكتوبة.

نماذج من الموروث الأدبي الشعبي في ضوء (نظرية الفوضى):

سبق القول آنفًا: إن نظرية الفوضى تعد أبرز واجهات النقد الثقافي. ولأن النقد الثقافي يستهدف الأدب الشعبي بوجه خاص، فإن من البدهي أن تتجه أنظارنا صوب أبرز مدونتين شعبيتين في الأدب العربي القديم: السيرة الهلالية وألف ليلة وليلة ، بوصفهما مثالين أدبيين استثنائيين، قابلين للدراسة التطبيقية من منظور (نظرية الفوضى).

(السيرة الهلالية) في ضوء (نظرية الفوضى):

على الرغم من كل ما تنطوي عليه السيرة الهلالية من تلفيق وانفلات زماني ومكاني[29]، إلاّ أنها تمثل نموذجًا للكيفية التي يمكن وفقها لرفّة جناحي الفراشة أن تؤدي إلى مآل حضاري مأساوي، جرّاء عدم اقتدار النمط المدني الناعم على مواجهة النمط الصحراوي الغاشم.

ومن المؤكد أن هذا المآل ما كان ليخطر ببال الخليفة الفاطمي المستنصر (427 – 487هـ)[30] وهو يعطي شارة البدء لعدد من القبائل المشاغبة في صعيد مصر للانقضاض على الغرب الإفريقي العربي المسلم، انتقامًا من والي تونس المعز بن باديس الصنهاجي[31] الذي أوقف الدعاء له وراح يدعو للخليفة العباسي مجدّدًا في عام (440هـ). وسواء أكنّا انطلقنا في فهمنا هذا، من الاعتقاد بأن الخطوة التي أقدم عليها والي تونس هي رفّة جناحي الفراشة الأولى، أم أنّ الخطوة التي أقدم عليها الخليفة الفاطمي هي رفّة جناحي الفراشة الأولى، فإن النتيجة واحدة وهي: تدمير الحضارة العربية الإسلامية في الشمال الإفريقي العربي المسلم، ممثلاً في تونس الخضراء بوجه خاص وفي القيروان بوجه أخص.

إن أخطر ما يمكن للناقد استخلاصه من الحكاية الإطارية الناظمة لسيرة بني هلال، يتمثل في تصاعد الوعي العنجهي

الصحراوي، وتنصيبه بطلاً في الوجدان الشعبي، فضلاً عن انتحال كل المسوّغات له، كي يطيح بالوعي المدني الناعم ممثّلاً في بنات والي تونس الذي راهن على استمالة شيوخ القبائل الغازية عبر تزويج بناته لهم، لكنهم أصروا على اجتياح تونس رغم ذلك[32]. إنها مغناة الذكورة الغاشمة في أوج تسلّطها على الأنوثة الناعمة! وهي مغناة تقتات وتنمو بعدد من الحكايات الفوضوية الثانوية الداعمة للحكاية الإطارية، مثل حكاية أبي زيد الهلالي، أو ذياب بن غانم الزغبي، أو الجازية! كما يمكن الشروع بها بدءًا من أية حكاية فيها، بل ويمكن إضافة ما يوافق أهواء الراوي وجمهور السامعين لها من خلال إعلاء نموذج أبي زيد الهلالي مثلاً والغض من نموذج ذياب بن غانم، أو العكس من ذلك. وباختصار فإنها نموذج لنظرية الفوضى حينما تعمل سلبًا.

(ألف ليلة وليلة) في ضوء (نظرية الفوضى):

إذا كانت (سيرة بني هلال) تلخص رفّة جناحي الفراشة بدءًا من الانتقام الشخصي وصولاً إلى الهدم الحضاري العام، فإن (ألف ليلة وليلة)[33] تلخص رفّة جناحي الفراشة بدءًا من الانتقام الشخصي وصولاً إلى السلام العام. أو هي بعبارة أخرى تمثل رفّة جناحي الفراشة بدءًا من جحيم الشك وصولاً إلى نعيم اليقين، اعتمادًا على الاعتبار بالمغزى، ودون أن تراق قطرة دم واحدة. وأعني بالجملة الأخيرة (دون أن تراق قطرة دم واحدة) نمط العلاقة التي قامت بين (شهريار) و(شهرزاد) منذ أول ليلة شرعت فيها بالسرد وحتى آخر ليلة اختتمت فيها سردها المذهل. ولا أشمل بها –طبعًا– ما سبق هذا السرد من مجازر.

وسواء أكنّا انطلقنا في تحليل ألف ليلة وليلة من لحظة إقدام (شاه زمان) على قتل زوجته[34] الخائنة وحاشيتها الفاجرة بوصفها رفّة جناحي الفراشة الأولى التي أدّت إلى كل ما أدّت إليه في (ألف ليلة وليلة)، أم انطلقنا في هذا التحليل من لحظة اطّلاع (شهريار) على خيانة زوجته[35] بوصفها رفّة جناحي الفراشة الأولى التي أوصلته إلى (شهرزاد)، فإن النتيجة واحدة وهي: الانهيار التام لليقين داخل (شهريار) بإمكانية وجود الوفاء البشري ممثلاً في المرأة / الزوجة / الحبيبة المخلصة. إن هذا الانهيار الدامي لليقين، لا يقتصر على الثقة بإمكانية وجود المرأة العفيفة فقط، بل يمتد ليشمل انهيار الثقة بإمكانية وجود الحقيقة، فالمرأة المخلصة والحقيقة المطْلقة، مسمّيان لوجه واحد في ألف ليلة وليلة.

إن رفّة جناحي الفراشة الثانية التي تتكفل بإحداث الإزاحة المطلوبة باتجاه إعادة بناء اليقين، تتمثل في تطوّع (شهرزاد) لإنقاذ بنات جنسها وإعادة الاعتبار لهن، عبر مئات الحكايات المتوالدة، المبتورة بانبلاج الصباح، المتألّقة بهبوط الليل، المنفلتة من عقال الزمان والمكان، والمنتظمة بمحرّك رئيس هو: ضرورة إعادة بناء قناعة الذات بإمكانية وجود الحقيقة بغية استعادة ثقتها بالآخر المتَّهم.

ومع ضرورة التذكير بالفارق النوعي الذي آلت إليه (ألف ليلة وليلة)، بما في ذلك مآل (شهريار) و(شهرزاد)، فإن نظرية الفوضى تعمل على صعيد الإطار العام للحكاية بإيجابية متتابعة، على وقع الأطر الثانوية التي تبدو ظاهريًا ضربًا من التلفيق الفوضوي؛ فهي أيضًا قابلة للحذف والاستثناء، كما يمكن البدء من أي منها دون أن يخلّ ذلك بمغزى الإطار العام. لا بل يمكن إضافة غيرها، شفويًا أو كتابيًا. سواء أكان السارد هو الراوي المجهول أم (شهرزاد). وسواء أكان المتلقي هو (شهريار) أم القارئ الضمني.

وبقطع النظر عن مرجعياتها الفارسية، أو العراقية، أو الشامية، أو المصرية، فإنها تمثّل معادلاً سرديًا لنظرية الفوضى، إذ يتبدّى لنا السّرد ظاهرًا بوصفه خبط عشواء عارمًا في فضاء التداخل بين الماضي والحاضر، وبين المعقول واللامعقول، وبين الإنس والجن، وبين الواقع والخيال، وبين الفروسية والدناءة، وبين الحياة والموت. لكنه يتراصف باطنًا بوصفه نسقًا سرديًا عامًا يشتمل على عدد من الأنساق السردية الجزئية، باتجاه ترسيخ حقيقة واحدة: إن المرأة بوصفها معادلاً موضوعيًا للحقيقة موجودة، وإن لم يسعفنا الحظ بالالتقاء بها (المرأة / الحقيقة)، فهذا لا يعطينا الحق في نفي وجودها.

(الربيع العربي) في ضوء (نظرية الفوضى):

ارتفعت الستارة في مسرح الوطن العربي عن مشاهد تطبيقية صاخبة لنظرية (الفوضى الخلاقة)[36]، بدءًا من أواخر العام 2010، وتحت عنوان (الربيع العربي)! ولن نحتاج إلى جهد كبير لاستنباط آليات عمل هذه النظرية على أرض الواقع، وفق أنساق محدّدة، متشابهة حينًا ومتباينة أحيانًا. ففي تونس مثلاً، رفّ جناحا الفراشة بإقدام محمد البوعزيزي على إحراق نفسه احتجاجًا على قيام شرطة البلدية بمصادرة عربته المتواضعة التي يكسب لقمة عيشه بوساطتها، فاندلعت على الفور المظاهرات والاحتجاجات والاعتصامات في كل أنحاء تونس، منادية بإسقاط النظام ورحيل الرئيس زين العابدين بن علي. فتحقق للمشاركين في هذه الثورة الشعبية العارمة ما أرادوا بعد أيام قلائل. ورغم أن نظام زين الدين بن علي في تونس، كان يعدّ من أكثر الأنظمة السياسية العربية متانة وصلابة، إلاّ أن الشرارة الأولى انطلقت منه[37]!

ووفقًا لنظرية الدومينو التي أطلقها أيزنهاور في عام 1954، سرعان ما انتقلت العدوى إلى مصر التي مثّل اعتداء أفراد من الشرطة على الناشط السياسي خالد سعيد رفّة جناحي الفراشة الأولى التي تضاعفت بسرعة الضوء، فامتلأت ميادين مصر بالمتظاهرين وطالبوا بإسقاط النظام، ورحيل الرئيس محمد حسني مبارك، فتم لهم ما أرادوا أيضًا، في غضون أيام قلائل. مع أن نظام محمد حسني مبارك كان يعد أكثر الأنظمة السياسية العربية هيمنة ورسوخًا[38].

وإذا صحّت الرواية التي تناقلتها وسائل الإعلام بخصوص الأطفال الذين سطروا على جدران درعا بعض الشعارات المناوئة للرئيس بشّار الأسد، وما أعقب ذلك من ردود أفعال قاسية جدًا لمسؤولي الحزب الحاكم في المدينة، فإن من اليسير توثيق رفّة جناحي الفراشة الأولى التي قادت إلى اندلاع الحرب الأهلية في سوريا، والتي ما زالت فصولها المروّعة تتوالى، على مرأى من العرب والمسلمين وعواصم القرار في العالم ومسمعهم[39].

وأمّا بخصوص ليبيا واليمن، فقد اختلط الحابل بالنابل، إلى الحدّ الذي قد يصعب معه تحديد رفّة جناحي الفراشة الأولى فيهما[40]، وبخاصة في ضوء تركّز أنظار العالم على تفاعلات الأحداث في كل من مصر وتونس وسوريا. ومن المؤكّد أن (نظرية الفوضى) كانت ستظفر بعدد من النماذج الرياضية، لو أن مراكز

الأبحاث والدراسات في أقطار الوطن العربي امتلكت القدرة على إدخال معطيات هذه الثورات وحوسبتها وإخراجها في صورة نماذج هندسية.

نماذج من السرد العربي المعاصر في ضوء (نظرية الفوضى):

في موازاة هذا المشهد السياسي الملحمي، الذي طوّح بكل مسلّمات الفيزياء التقليدية والخطية والثابتة، ولم يقتصر على تونس ومصر وسوريا وليبيا واليمن فقط، بل امتد ليشمل أقطار الوطن العربي كلها بدرجات متفاوتة، ظهر عدد من الأعمال الأدبية –رواية وقصة وشعرًا ويوميات ونصوصًا– التي اتّسم أغلبها بالانفعال والسطحية والرغبة الشديدة في استثمار الحدث وقطف ثماره بسرعة فائقة، لكن بعضها جاء مترعًا بالحكمة والإبداع والتحليق عاليًا في سماء الشكل والمضمون. **ومن باب التمثيل، يمكننا التوقف بإزاء عملين روائيين لافتين وهما: (فرانكشتاين في بغداد) للكاتب العراقي أحمد سعداوي التي صدرت في عام 2012، ورواية (فرس العائلة) للكاتب الفلسطيني محمود شقير التي صدرت في عام 2013، لسببين رئيسين:**

♦ **أولاً:** إن العملين مثّلا حفرًا بعيد المدى، بحثًا عن الأسباب التي أدت إلى انحطاط الواقع العربي، ولم ينجرّا خلف إغراء الترجمة الميكانيكية لأحداث الربيع العربي.

♦ **ثانيًا:** إن الروايتين تشتملان على تمثّل باهر لنظرية الفوضى في الأدب، وإلى الحد الذي يرشّحهما لتكونا مختبرين تطبيقيين معاصرين لهذه النظرية.

أبرز الملامح الفوضوية في رواية (فرانكشتاين في بغداد):

تمثّل رواية (فرانكشتاين في بغداد)[41] إعادة إنتاج لافتة ل(ألف ليلة وليلة)! ولو قيض لبطل الرواية (الصحفي محمود السوادي) أن يفرض العنوان الذي اقترحه على رئيس تحرير مجلة (الحقيقة) وهو (أساطير من الشارع العراقي) بدلاً من (فرانكشتاين في بغداد)[42]، لما احتجنا إلى التدليل على هذه العلاقة الظاهرة والمبطنة في آن. على أن أبرز ما يستمده أحمد سعداوي من (ألف ليلة وليلة) ويسبغه على كلّ أبطال الرواية هو صفة (العيّارين والشطّار) الذين اكتوى البغداديون على مرّ السنين بمكرهم وحيلهم وشذوذهم ومغامراتهم، كلّما انفرط عقد الأمن والأمان بمدينتهم، فغدت مسرحًا لكل الأفاقين واللّصوص الذين لا يكادون يختلفون في شيء عن أمثالهم من الأفاقين واللصوص الذين ملأوا بغداد بعد أن احتلّها الجيش الأمريكي، وراحوا يتسابقون في التخطيط لنهب العراق والعراقيين، بصرف النظر عن مواقعهم الوظيفية، ومواقفهم السياسية، وشعاراتهم الإيديولوجية، وانتماءاتهم الطائفية.

فاللحظة الزمنية التي ينشغل السارد في توثيقها هي لحظة فوضوية بكل المقاييس؛ إنها (بغداد 2006)[43] حيث انخرط الجميع في الإعداد لحرب أهلية على قدم وساق، وراحوا ينشئون لذلك العصابات المسلحة، والميلشيات العسكرية التي لا تتوقف ليل نهار عن الاشتباك والاقتتال والاستعداد التام لتفخيخ كل شبر من بغداد وتفجيره، مدفوعة بأوهام السيطرة واجتثاث الآخر، وعلى نحو يذكر بحكاية (علي الزيبق) التي تخلّقت بوصفها حكاية ثانوية في (ألف ليلة وليلة)[44]، ثم استقلّت بنفسها لاحقًا، بوصفها حكاية رئيسة، تتغنى بمآثر (علي الزيبق) الشاطر والعيّار الخيّر الذي يخوض صراعًا داميًا ضد شطار بغداد الأشرار وعيّاريها[45]. والطريف في الأمر أن السارد أسند للعميد (سرور) وظيفة (علي الزيبق) صاحب شرطة بغداد المخلص، لكنه أحدث قلبًا جوهريًا في دوره، إذ بدلاً من أن يسهر على راحة الناس، ومقارعة الأشرار كما كان يفعل علي الزيبق، فإنه يفعل العكس تمامًا، أي أنه لا يتوقف عن التآمر على راحة الناس ومقارعة الأخيار[46]!

ومما يزيد هذه الفوضى العارمة تأججًا، ذلك البعد الفانتازي الذي أضفاه السارد عليها، ويتمثّل في الخيال العلمي البوليسي المستمد من الأدب الإنجليزي الحديث، فإذا بفكرة المسخ البريطاني العتيد (فرانكشتاين)[47] تتجسد في صورة مسخ عراقي يصول ويجول في شوارع بغداد وأزقتها وبيوتها وأحيائها، زارعًا الرعب في قلوب المسؤولين والمواطنين على حد سواء. ولا يتردّد السارد في الدفع بسخريته السوداء إلى أقصى حدودها الممكنة، حينما يستطرد في توصيف ما أعدته الأجهزة الأمنية في بغداد لمواجهة هذا المسخ، فجنّدت لذلك ثلة من المشعوذين والسحرة وضاربي الرمل، بغية التمكن من رصد مقرّه، وتتبّع حركاته، والعمل على إلقاء القبض عليه! وهكذا يحدث السارد أكبر قدر من الفوضى التي يمكن تخيلها إبداعيًا، من باب الإصرار على مضاهاة تلك الفوضى العارمة التي كانت تجتاح بغداد سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا وأمنيًا، فيزاوج بين عتاقة بغداد من خلال التغني بأحيائها العريقة، وأنتيكاتها القديمة، وحداثة الاحتلال البريطاني فالأمريكي من خلال تمجيد المسخ (فرانكشتاين). ويُجلس كبار المحققين الأمنيين، وعتاة السحرة والمشعوذين على طاولة واحدة. لكنه لا يغفل عن تجميع شتات الأشلاء المتطايرة في كل مكان جرّاء التفجيرات المتوالية في شخص (فرانكشتاين) البغدادي ثم تذويبه جرّاء تساقط أعضائه واحدًا تلو الآخر، ثم العمل مجدّدًا على إعادة بنائه. كما لا يغفل عن التلويح بحقيقة أن ثمة (مركزًا) يتحكّم في إنتاج كل هذه الفوضى تحت شعار (توازن العنف) لإنهاك كل هذه الأطراف المتصارعة، وإجبارها على القبول بفكرة الأمر الواقع؛ إنها قيادة الجيش الأمريكي القابعة في المنطقة الخضراء، التي لا تتوقف عن اختلاق الأحزاب والكتل والجماعات الدينية وتمويلها وتزويدها بكل الأسلحة اللازمة لإفناء بعضها بعضًا.

وإذا كانت كل هذه الفوضى هي من صنع عقل أعلى، هو قيادة الاحتلال الأمريكي، فإن المسخ يمثل معادلاً موضوعيًا، أو نسقًا مكثفًا لهذه الفوضى وصانعها، من جهة كونه يجسّد تعبيرًا بشعًا عن وجه الاحتلال وأهدافه وأطماعه ونواياه، كما يمثل معادلاً موضوعيًا أو نسقًا مكثفًا لهذه الفوضى، ومن جهة كونه تعبيرًا بشعًا عن وجوه كل الأطراف العراقية المتورطة في إغراق العراق والعراقيين في العنف ، وفضح فسادها وأنانياتها وتعرية مصالحها المترابطة بنيويًا مع مصالح الاحتلال الأجنبي. إنه الرمز المركّب لكل هذه الفوضى التي يتحمّل الجميع وزرها على صعيد الأضرار، ولا يترددون مع ذلك في إدارة ظهورهم لها وقت الحاجة، فيتسابقون إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه من مصالحهم، ومغادرة بغداد التي خرّبوها على جناح السرعة، فرارًا بأنفسهم وبما تبقى لهم من أشلاء الضمائر والمشاعر والأفكار، فمنهم من يلتحق ببلدته النائية، ومنهم من يلوذ بعشيرته الساطية، ومنهم من يختار التنقل مع طواقم خبراء الاحتلال وإعلامييه، وكأن بغداد التي جمعتهم في لحظة جشع، تركلهم بأقدامها الراسخة في لحظة خوف، بعد أن

عرّتهم واحدًا واحدًا. وكشفت تكالبهم على تحقيق مآربهم الشخصية وتعظيم مصالحهم الذاتية.

ولعل من أبرز الملامح الفوضوية في (فرانكشتاين في بغداد)، ما يتمثّل في إيقاعها اللغوي المتفاوت بخبث متعمّد، فإذا به يعلو ويشف حينًا حتى نخال أننا أمام سارد كلاسيكي متمرّس، ثم يهبط ويضحل حينًا آخر حتى نخال أننا نقرأ لكاتب هاو. هذا فضلاً عن التوظيف الباهر للغة التحقيقات والتقارير والريبورتاجات الصحفية التي من شأنها أن تلقي بنا في عين عاصفة الحدث الروائي. وأما بخصوص المراوحة بين العربية الفصيحة الرزينة والوقورة والعاميّة البغداديّة المحكية والمكشوفة، فحدّث ولا حرج؛ فبغداد 2006 التي تشرع كل نوافذها على المجهول، غدت أرخبيلاً شاسعًا من النوايا والمخططات والمؤامرات التي يصعب معها الجزم بإمكانية الركون إلى أي نسق لغوي، فلا الفصيحة الرسمية يمكن أن تجدي على الدوام، ولا المحكية الشعبية يمكن أن تسعف على الدوام، ولا بديلهما النقيض –كالإنجليزية– يمكن أن ينقع الغلّة، ولا ما ترطن به أم دانيال من السريانية الغابرة أمام قديسها الوسيم يمكن أن ينجي على الدوام، وفي ظل واقع متفجّر ومتشظ مثل بغداد 2006، تتوارى أية إمكانية لامتلاك أية أفكار متماسكة، ومن ثم أية إمكانية لامتلاك أية لغة معبّرة، والعكس من ذلك صحيح، بحكم العلاقة الجدلية القائمة بين الواقع والفكر واللغة، أو اللغة والفكر والواقع.

أبرز الملامح الفوضوية في رواية (فرس العائلة):

تستلهم رواية (فرس العائلة)[48] مأساة تغريبة بني هلال التي تحكي ما واجهوه من صعاب، وما خاضوه من حروب في طريق عودتهم من المغرب الأقصى، وفي رواية أخرى من الأندلس إلى مصر. حيث تعرّضوا لما يمكن تسميته (تصفيات حساب) مع كل خصومهم الذين سبق لهم أن تسببوا بتشريدهم، وتدمير ديارهم. ومع أنّ السارد لا يأتي على ذكر هذه التغريبة صراحة، إلاّ من خلال بعض الإشارات الخاطفة لراوي السيرة الهلالية طبعًا[49]، إلاّ أنّ الإطار العام للحكاية، الذي يمكن تلخيصه في تزايد رغبة زعيم قبيلة العبداللات في الارتحال بقومه من عمق الصحراء إلى تخوم القدس خلال أعوام الحرب العالمية الأولى، يعزّز لدينا هذا الاستلهام غير المباشر. والحق أن ما تعرّضت له قبيلة العبداللات من صعوبات، وما واجهته من عقبات في طريق ارتحالها لمتاخمة مدينة القدس، يزيد من قناعتنا بوجود هذا الاستلهام لتغريبة بني هلال. وحيث إننا قد توقفنا سابقًا مع أبرز الملامح الفوضوية في السيرة الهلالية، فحسبنا أن نفرد (فرس العائلة) ببعض الملاحظات من المنظور الفوضوي.

تتبدى لنا الصحراء أولاً، بوصفها مكانًا فوضويًا في رواية (فرس العائلة)، لأننا نتخيلها تجريدًا، ولا نراها تحديدًا؛ فالأفق الممتد ولهيب الشمس يحدها نهارًا، والسماء الممتدة وضوء القمر يحدها ليلاً. وحتى بيوت شعرها متناثرة متباعدة لأسباب تتعلق بحرص البدوي على التفرّد والخصوصية[50]. كما تتبدى لنا حقبة الحرب العالمية الأولى، بوصفها زمنًا فوضويًا أيضًا، فهي مزيج من الهيمنة العثمانية، والاحتلال البريطاني، والتغلغل الصهيوني في فلسطين. هذا فضلاً عما يمارسه تيار لاوعي الشيخ منّان – الشخصية الرئيسة في الرواية– من ارتحال دائم من الحاضر إلى الماضي، ومن الماضي إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى المستقبل.

وبوجه عام، فإن خلف البناء المتّئد المحكم لهذه الرواية، يقبع عدد من الأعاصير التي أحدثتها رفّة لا تكاد ترى لجناحي فراشة هنا أو هناك، وفي عمق فوضاها الظاهرة ثمة عدد من الأنساق والنُّظُم والتراكيب والأشكال التي يتراتب كل منها على نحو محدّد ومدهش. ويمكننا الزعم –مثلاً– بأن العبارة التي ألقى بها القائد العثماني المتغطرس على مسامع والد منّان ومعناها (أنتم البدو لا تساوون شيئًا)[51] قد مثّلت رفّة جناحي الفراشة التي ما فتئت تتداعى وتتعاظم حتى أدّت إلى ذلك الموقف الحاسم من الخلافة العثمانية، وإدارة الظهر لها تمامًا في الحرب العالمية الأولى على الرغم من كل ما يجمع الأعراب والأتراك من أواصر الدين والتاريخ. كما يمكننا الزّعم أيضًا بأن موافقة الشيخ منّان على التحاق بعض شباب العشيرة بحرس الحدود البريطاني، لمنع المهرّبين الفلسطينيين من التسلل إلى الأردن، أو لمنع المهرّبين الأردنيين من التسلّل إلى فلسطين، قد مثّلت رفّة جناحي الفراشة الأولى التي أوصلت غير قليل من شباب القبيلة إلى التستر على تهريب السلاح من شرفاء الأردن إلى مناضلي فلسطين، بل لقد أدّت بهؤلاء الشباب إلى الالتحاق بالمقاومة الفلسطينية المسلحة للوجود الاستعماري البريطاني والصهيوني، وإلى الحد الذي أدّى بالشيخ منّان نفسه إلى التضحية بابنين له، واحتمال الإهانة والاعتقال في غياهب السجون البريطانية[52]. ولماذا نجتهد في اجتلاب البراهين للتدليل على هذا الذي نزعمه؟ والرواية كلّها ما كانت لتكون لولا ذلك الدافع الغامض الذي ظل يدفع الشيخ منّان إلى إقناع عشيرته بمغادرة الصحراء، والارتحال إلى تخوم القدس، والذي تعزّز بعد قيامه وزوجته بزيارة القدس الشريف والتجوّل في شوارعها، والتسوّق من دكاكينها. يا له من دافع ذاتي غامض سرعان ما تحول إلى قناعة فحركة جماعية، لخصت تلك المسافة التراجيدية بين رفّة جناحي الفراشة الأولى وانفجار الإعصار[53]! وإذا جاز لنا أن نمعن في استنطاق (فرس العائلة) من منظور نقدي ما بعد حداثي، فيمكننا الزعم أخيرًا بأن فرس العشيرة التي تحوّلت إلى أسطورة[54]، تمثل في هذه الرواية، ووفقًا لنظرية الفوضى في الأدب، الجاذب الغريب (Strange attrac-tor)[55] الذي يجسّد اختفاؤه أو ظهوره مجازًا، بداية أو نهاية لحدث أو حكاية أو إنسان، في خضم هذا التاريخ المثير والمفجع لعشيرة العبداللات.

خلاصة

مثّل هذا البحث عرضًا مكثّفًا، للآفاق الرحبة التي يمكن للمفكرين والباحثين والنقاد العرب ارتيادها، انطلاقًا من نظرية الفوضى، التي من شأنها أن تعيد تطبيع العلاقة المفقودة بين العلم والأدب العربي الحديث بخاصة، وبين العلم والثقافة العربية المعاصرة بوجه عام. ومع ضرورة النظر بعين الاعتبار الشديد لحقيقة أن الباحث لا يدّعي أنه قد أحاط إحاطة تامة بنظرية الفوضى، وأنه لم يفعل أكثر من أنه قدّمها وفقًا لفهمه الخاص – إذ إنها ما زالت بحاجة إلى كثير من التفهم والتأمل والتمحيص في ضوء ندرة المراجع الموثوقة باللغة العربية– فإن المئات من النصوص العربية، قديمًا وحديثًا، تبدو حقولاً عذراء تنتظر من يحرثها مجدّدًا، انطلاقًا من هذه النظرية الولود. ولعل أكثر ما يمكن أن تفي هذه النظرية بتفسيره في موروثنا القديم، يتمثل في ذلك

الكم الهائل من الاستطرادات والالتفاتات والاستدراكات والحواشي والهوامش التي قد تتمخض دراستها –بوصفها أنظمة أو أنساق أو أنشطة فوضوية– عن نتائج مفيدة في الحد الأدنى، ناهيك عن كثير من القيم المضافة التي يمكن أن تتحقق جرّاء التشبيك المطلوب بين الأدب من جهة وعدد من حقول العلوم التطبيقية البحتة والإنسانية الاجتماعية من جهة أخرى.

الهوامش:

1. الموسوعة الفلسفية، بإشراف: م. روزنتال وب، يودين، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، ط5، بيروت، 1985، ص554. المعجم الفلسفي المختصر، ترجمة: توفيق سلّوم، دار التقدم، موسكو، 1986، ص587.
2. الموسوعة الفلسفية: ص543، المعجم الفلسفي المختصر: ص555.
3. http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D9%83%D8%B3_%D8%A8%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%83
4. للتوسع بخصوص التفاصيل العلمية الدقيقة التي اشتملت عليها نظرية الفوضى من منظور إدوارد لورينز، انظر: الفصل الموسوم بـ(أثر جناح الفراشة) في كتاب (نظريّة الفوضى.. علم اللامتوقع) جايمس غليك، ترجمة: أحمد مغزي، دار الساقي، بيروت، ط1، 1987، ص47–23. وهو من أبرز وأوثق المراجع في حقل نظرية الفوضى.
5. وهناك مسمّيات أخرى للنظرية مثل (العَمَاء)و(الشّواش)، وللتوسع على هذا الصعيد، انظر: دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي، ود. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، ط5، الدار البيضاء، 2007.
6. المرجع السابق، ص19.
7. نظرية الفوضى والأدب: ما بعد ما بعد الحداثة، د. شريفة العبودي، كتاب الرياض الشهري، 2011، ص85 – 86.
8. المرجع السابق، ص93.
9. المرجع السابق، ص92.
10. المرجع السابق، ص14.
11. المرجع السابق، ص16.
12. المرجع السابق، ص31.
13. http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%85%D9%8A%D9%86%D9%88
14. http://t-al-ali.blogspot.com/2012/02/blog-post_9543.html
15. http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%B5%D9%81_%D8%B0%D9%87%D9%86%D9%8A
16. http://ar.swewe.net/word_show.htm/?448479_1&%D8%AA%D9%8A%D8%A7%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B9%D9%8A
17. تحوّلات النقد الثقافي، د. عبد القادر الرباعي، دار جرير، ط1، عمان، 2007، ص15.
18. المرجع السابق، ص17–16.
19. المرجع السابق، ص20.
20. المرجع السابق، ص25.
21. المرجع السابق، ص18.
22. المرجع السابق، ص15، 25، 31.
23. المرجع السابق، ص25.
24. سورة الأعراف، آية 12.
25. سورة البقرة، آية 34 – آية 36.
26. سورة المائدة، آية 27.
27. أولاد حارتنا، نجيب محفوظ، دار الآداب، ط5، بيروت، 1989، ص13.
28. سورة العلق، آية 1.
29. السيرة الهلالية، قدّم لها وعرّف بها: د. السيد خلف، مكتبة النافذة، ط1، القاهرة، 2010.

    والباحث يتحفّظ على جلّ ما ورد في مقدّمة السيرة (ص أ، ب، ج، د، هـ)، كونه لا يعكس فهمًا دقيقًا لحقيقة علاقة السيرة بالواقع التاريخي.
30. تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)، طبعة مصحّحة اعتنى بإخراجها أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ص940–939.
31. المصدر السابق، ص940.
32. للتوسع انظر: عصر الدول والإمارات (مصر)، شوقي ضيف، دار المعارف، ط2، القاهرة، ص484 – 486.

    : عصر الدول والإمارات (ليبيا / تونس / صقلية)، دار المعارف، القاهرة، ص32، 128، 227، 282.
33. ألف ليلة وليلة، مقابلة وتصحيح الشيخ محمد قطة العدوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2006.
34. المصدر السابق، ج1، ص5.
35. المصدر السابق، ج1، ص7.
36. للتوسع بخصوص مصطلح ونظرية (الفوضى الخلاقة) انظر:

    http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%88%D8%B6%D9%89_%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A9
37. الربيع العربي إلى أين؟ تحرير: د. عبد الإله بلقزنير، مركز دراسات الوحدة العربية/ وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ط1، 2012، ص54.
38. المرجع السابق، ص54.
39. المرجع السابق، ص347.
40. المرجع السابق، ص342–341.
41. فرانكشتاين في بغداد، أحمد السعداوي، منشورات الجمل، ط4، بيروت، 2014.
42. المرجع السابق، ص153.
43. من مقابلة مع أحمد السعداوي، أجرتها معه (الجزيرة نت) بتاريخ 13/1/2014، تحت عنوان (العراقي أحمد سعداوي: الكاتب ابن تجاربه).

44. الشطار والعيّارون، د. محمد رجب النجار، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1981، ص236.
45. المرجع السابق، ص235، 237.
46. فرانكشتاين في بغداد، أحمد سعداوي، ص138، 139.
47. هي في الأصل، رواية خيال علمي، للكاتبة البريطانية ماري شيلي، وقد صدرت سنة 1818.
48. فرس العائلة، محمود شقير، دار نوفل، ط1، بيروت، 2013.
49. المرجع السابق، ص93.
50. المرجع السابق، ص11.
51. المرجع السابق، ص13.
52. المرجع السابق، ص126.
53. المرجع السابق، ص10.
54. المرجع السابق، ص39.
55. نظرية الفوضى والأدب، د. شريفة العبودي، ص23–18.

المصادر والمراجع:

أولاً- القرآن الكريم.

ثانياً- المراجع العربية:

1. ألف ليلة وليلة، مقابلة وتصحيح الشيخ محمد قطة العدوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2006.
2. تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)، طبعة مصحّحة اعتنى بإخراجها أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.
3. السيرة الهلالية، قدّم لها وعرّف بها: د. السيد خلف، مكتبة النافذة، ط1، القاهرة، 2010.
4. المعجم الفلسفي المختصر، ترجمة: توفيق سلّوم، دار التقدم، موسكو، 1986.
5. الموسوعة الفلسفية، بإشراف: م. روزنتال وب، يودين، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، ط5، بيروت، 1985.
6. أولاد حارتنا، نجيب محفوظ، دار الآداب، ط5، بيروت، 1989.
7. تحوّلات النقد الثقافي، د. عبد القادر الرباعي، دار جرير، ط1، عمان، 2007.
8. الربيع العربي إلى أين؟ تحرير: د. عبد الإله بلقزنير، مركز دراسات الوحدة العربية/ وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ط1، 2012.
9. الشطار والعيّارون، د. محمد رجب النجار، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1981.
10. عصر الدول والإمارات (ليبيا / تونس / صقلية)، دار المعارف، القاهرة.
11. عصر الدول والإمارات (مصر)، شوقي ضيف، دار المعارف، ط2، القاهرة.
12. فرانكشتاين في بغداد، أحمد السعداوي، منشورات الجمل، ط4، بيروت، 2014.
13. فرس العائلة، محمود شقير، دار نوفل، ط1، بيروت، 2013.
14. نظرية الفوضى والأدب: ما بعد ما بعد الحداثة، د. شريفة العبودي، كتاب الرياض الشهري، 2011.

ثالثاً- المواقع الإلكترونية:

1. *http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D9%83%D8%B3_%D8%A8%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%83*
2. *http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%85%D9%8A%D9%86%D9%88*
3. *http://t-al-ali.blogspot.com/2012/02/blog-post_9543.html*
4. *http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%B5%D9%81_%D8%B0%D9%87%D9%86%D9%8A*
5. *http://ar.swewe.net/word_show.htm/?448479_1&%D8%AA%D9%8A%D8%A7%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B9%D9%8A*
6. *http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%88%D8%B6%D9%89_%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A9*